

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتب المدرسية الجديدة لمادة التربية الإسلامية في السلك الثاني

بين منهجية التأليف ومقاربات التوظيف العوائق والحلول الممكنة

إعداد الأستاذ يوسف بن عجيبة

كلمة شكر

أشكر الإخوة الكرام في لجنة "مجلة تربيتنا" وممثلي أعضاء المكتب المركزي للجمعية المغربية لأساتذة التربية الإسلامية بالقيظرة على دعوتهم الكريمة لي وأشكر السادة المتدخلين الذين أثروا هذا اللقاء بمدخلاتهم والسادة الحضور على تلبيتهم الدعوة.

تقديم:

يتمحور عرضي هذا حول: قراءة في الكتب المدرسية المقررة في مادة التربية الإسلامية بين منهجية

التأليف ومقاربات التوظيف (العوائق والحلول)

والقراءة التي قمت بها قراءة حاولت أن أستدعي خلالها خبراتي المتواضعة في مجال وضع برامج التربية الإسلامية بالتعليم الثانوي بسلكه الإعدادي والتأهيلي ومجال تأليف الكتب المدرسية والكتب الموازية ومجال التدريس الذي درست فيه بثلاثة أجيال من الكتب المدرسية وثلاثة أجيال من البرامج وجيل ممتد من بيداغوجيا التدريس الهادف إلى جيل التدريس بالكفايات المعمول به في أيام الله هذه.

إن قراءة الكتب المدرسية لا يمكن أن تتم في غياب تسليح القارئ بالأدوات المنهجية والعلمية البيداغوجية والديداكتيكية الضرورية. فهي قراءة ذات خلفية إستراتيجية. وفي المقابل لا يمكن لهذه القراءة أن تكون ذات مصداقية إلا من خلال تجريب هذا الكتاب المدرسي في التدريس والتقويم ومجال التعليم والتعلم وقياس مدى قابليته ومعايشة الصعوبات التي واجهها كل من المدرس والمتعلم في استيعاب أنساق هذا الكتاب وتحويلها إلى قيم وكفايات ومواقف ومهارات. من هنا يبدو جليا أن قراءة مفصلة للكتب المدرسية تحتاج إلى كتاب كامل ولا يمكن الإحاطة بها في مداخلة محدودة في الزمن تحكمها أدبيات المائدة المستديرة، لذا سيكون الطابع الغالب على هذه القراءة الشمولية في وضع الإشكاليات والعمومية في طرح مقترحات حلول.

1- درس التربية الإسلامية بين نسقية البناء وتنوع طرق الإنجاز

1.1 البناء التوليفي للأنساق

تقوم الكتب المدرسية لمادة التربية الإسلامية على معايير نصت عليها دفاتر التحملات للوزارة الوصية على مستوى المضامين والقيم وعلى المستويات البيداغوجية والتقنية والفنية، مما جعل الكتاب المدرسي فضاء لشبكة من الأنساق تقاطعت فيه خيوط مفردات البرنامج مع خيوط المعايير المنهجية والعلمية والديداكتيكية، إن المدرس عندما يتعامل مع جسم معرفي ومنهجي بهذا الحجم من التركيب يشعر بعبئ المسؤولية الثقيل إزاء هذه الأمانة الملقاة على عاتقه فهو يعي بأن الكتاب لا يعكس إلا اجتهادا لما أرادت الوزارة أن يكون منهاجا وبالتالي فإنه مطالب بفهم المنهاج أولا ثم فهم الكتاب المدرسي ثم بوضع خطة للاشتغال بهما معا في إطار ملاءمة المعرفة مع واقع المتعلم من خلال وضعيات مشكلة تسائل واقع المتعلم وتستجيب لحاجاته النفسية والعقلية والاجتماعية.

تفكيك الأنساق من التحليل إلى التنزيل العوائق والحلول:

— نسق القيم: هو نسق نص عليه الميثاق الوطني للتربية والتكوين، يتكون من قيم العقيدة الإسلامية، وقيم الهوية الحضارية، وقيم المواطنة، وقيم حقوق الإنسان ومبادئها الكونية بما تحمله هذه القيم من تقاطعات ونقط التقاء أحيانا، وما تزخر به من خصوصيات وتناقضات أحيانا أخرى.

تحليل نسق القيم وتنزيله:

عائق خفاء القيم

غياب شبكة القيم المنبثقة من أهداف البرنامج

من الملاحظ أن نسق القيم لم تفكك مضامينه في شكل عناوين كبرى في مدخل كل وحدة على غرار الكفايات، وترك هذا الأمر للمدرس كي يدبره رغم أن الكفايات النوعية العامة والخاصة تحمل بعضا من تلك القيم ذات الارتباط المباشر بموضوع الوحدة.

غياب الآليات المنهجية لبناء شبكات الحاجات القيمية:

تتنوع طرق المدرسين في تشخيص الحاجات الأخلاقية والقيمية لدى المتعلمين بسبب غياب آليات منهجية لتشخيص مثل هذه الحاجات مما يعرض بعض المدرسين إلى إهمال البحث عن هذه الحاجات وتركها بحجة عدم الاختصاص علما أن دور أستاذ التربية الإسلامية دور المربي قبل كل شيء.

خطوات في طريق البحث عن الحل:

فالمدرس مدعو إذا للبحث في ثنايا مفاهيم الوحدة وإشكالياتها، وطرق التعلم المقترحة لصياغة عناصر هذه الشبكة لأن المدرس في نهاية الأمر مطالب بالتربية عن طريق التعليم وتصحيح المفاهيم قبل إكساب المفاهيم من هنا تكمن قيمة الوعي بوظيفية المعرفة والقيم في مادة التربية الإسلامية.

كما أن تشخيص حاجات المتعلم الملحة من القيم ذات الأولوية من خلال ملاحظة سلوكه داخل الفصل وفي فضاء المؤسسة. والإنصات لأسئلة المتعلمين التي تشكل مؤشرات على حاجاته العقلية والنفسية والأخلاقية، تمثل وسائل ناجعة لتشخيص هذه الحاجات.

بناء على هذه الخطوات يمكن للمدرس أن يكون قاعدة بيانات أولية تمكنه من بناء وتصنيف شبكة للقيم المرتبطة بمضامين البرنامج والقيم النابعة من احتياجات المتعلم الدائمة والمستمرة، وتمكنه من البحث عن تقنيات لاستدماج هذه القيم في العملية التعليمية — التعليمية في ثنايا المهام التعليمية والوضعيات المشكلة ومضامين الدرس بشكل يناسب مقاس كل مجموعة من مجموعات الفصل.

نسق الكفايات: هو نسق نص عليه الميثاق الوطني للتربية والتكوين، يتكون من الكفايات المنهجية، والكفايات التواصلية، والكفايات الإستراتيجية وتتفرع عنه كفايات نوعية خاصة بكل وحدة.

أتاحت الكتب المدرسية للمدرس وللتلميذ معا فرصة الاطلاع على مقاربات بيداغوجية متنوعة تختلف من كتاب إلى آخر أسهمت جميعها في وضع بيداغوجيا الكفايات على المحك العملي الأول المتمثل في بناء كتاب مدرسي وفق هذه البيداغوجيا، وقدمت صيغا ديداكتيكية متفاوتة في بناء الأنساق الإشكالية والمهارية وبناء المهام التعليمية كما تباينت في تقديم

الدرس النظري والدرس التطبيقي والأنشطة. مما جعل المدرس أمام صيغ متعددة تمكنه من انتقاء أنجعها في بناء المهارات وتحقيق التعليم التشاركي.

العوائق والحلول

إن هذا التنوع والتعدد بقدر ما أتاح للمدرسين الخروج من نمطية المقاربتين البيداغوجية والمنهجية خلق للبعض منهم متاعب اختيار الأجود من تلك المقاربات فالمدرس أمام خيارات متعددة:

أولها: تدريس كل كتاب بالمقاربة التي وضع بها. **ثانيها:** وضع مقارنة تركيبية تجمع بين المقاربات المتعددة **ثالثها:** التخلي عن مقاربات الكتب جميعا وتطور مقاربة بيداغوجية مرنة تنتقي الأجود من كل هذه الاجتهادات.

الحلول: لا يمكن السبق وإعطاء جواب نهائي ولكن الأسلم في مجال التدريس تكوين خطة عمل مرنة تسمح للمدرس بالمناورة وتوظيف مهاراته في انسجام تام مع البرنامج ومع إمكانيات المتعلمين العقلية وقدراتهم ومؤهلاتهم، دون أن يلغي الكتاب المدرسي كمحطة أولى لتنزيل البرنامج، فالشأن الأهم في هذا المقام هو فتح المتعلمين على صيغ أرحب للتعلم بدأ من القراءة المتفاعلة مع المعرفة عن طريق المهام التعليمية والوضعيات المشكلة المنبثقة من واقع المتعلم التي تستفز رغبته في التعلم لحرصه على البحث عن أجوبة تمكنه مباشرة من المشاركة في بناء العملية التعليمية وتحرره من دوامة اكتساب المعرفة من أجل المعرفة، ومراكمة المعرفة لمواجهة كابوس الامتحان.

نسق المفاهيم:

يتكون النسق المفاهيمي من مفاهيم كلية موزعة على دروس الوحدة ومحاورها، بشكل ممتد يعمق المفهوم المكتسب لنفس الوحدة في سنوات التعليم الثانوي الإعدادي. ويفتح المتعلم على آفاق أرحب من المعارف الوظيفية التي تزوده بإمكانات فكرية وعقلية للاندماج في الحياة العامة بمفاهيم صحيحة عن الذات والكون والحياة وبعد الممات، وتؤله لحسن تدبير تناقضات الحياة وصعوباتها من خلال تصحيح المفاهيم الخاطئة وتعميق المفاهيم الصحيحة وتحويل المعرفة إلى شأن ذاتي وقضية شخصية.

عوائق تدريس المفهوم :

أهم صعوبات تدريس المفهوم جنوح المدرس أو المتعلم إلى المعرفة النظرية بدل اعتماد المعرفة الوظيفية بسبب غياب مهام تعليمية واضحة ببعض الكتب المدرسية أو بسبب إهمال التنبيه إليها وإغفالها من طرف المدرس أو المتعلم والاقتصار

على قراءة المادة المعرفية دون إيلاء الاهتمام اللازم لأنشطة بناء التعلّمات والمهام .
من هنا تبرز إشكالية إستراتيجية إعداد الوحدة وسيناريو إعداد الدرس.

استراتيجية إعداد الوحدة			
إدماج القيم والمعارف والكفايات	الدرس 3	الدرس 2	الدرس 1
قيم مؤسسة وقيم داعمة	قيم ذات أولوية لتقويم سلوك المتعلم		
معرفة وظيفية تنمي القيم وتكتسب بإنجاز المهام	مفاهيم جزئية تبني نسقا تراكم المعرفة المنفتحة على السلوك		
بحث علمي وإنجاز لمهام دقيقة وواضحة	مهارات قائمة على القراءة والتفكير والتحليل والنقد والمبادرة		

الحلول:

لا يمكن تدريس المفهوم في غياب تشخيص المفاهيم المسبقة والأحكام الجاهزة عند المتعلمين بغرض تصحيحها

كما لا يمكن بناء مفهوم سليم على أرضية مفاهيمية هشة إذ لابد من تصحيح المفاهيم الجاهزة الخاطئة وإقرار تلكم الصحيحة قبل الانتقال إلى تعميق المفهوم
بناء على هذا العمل يمكن للمدرس أن يكون رصيذا معرفيا وتربويا في تشخيص المفاهيم وبنكا لها، وهي فرصة لكي يبحث عن مكامن الخلل في هذه المفاهيم الخاطئة، كي لا يقتصر عمله على تصحيحها، بل يتعداها إلى تصحيح طرق التفكير المفضية إليها.

إستراتيجية إعداد الدرس الصعوبات والحلول الممكنة:

إستراتيجية إعداد الدرس			
الوسائل	الوضعيات	المهام	المعرفة
مهام + وضعيات	وضع مهام دقيقة تعمق مفاهيم مكتسبة وتصحح مفاهيم خاطئة		النظري
التقنيات اللغوية والمنهجية لتحليل النص	وضع مهام لقراءة النص وتحليله تدريب المتعلم على وضع النص في سياقه الموضوعي ونسقه المعرفي		التطبيقي
عمل الفريق بيداغوجيا التعاون	نقل المعارف والمهارات إلى مشاريع تنمي في المتعلم روح المبادرة ومهارات التواصل		الأنشطة

تكن صعوبة إعداد الدرس في الحفاظ على انسجام خيوط هذه الأنساق السالفة الذكر، وتكن أيضا في صياغة وضعيات مشكلة تستثير اهتمام المتعلمين وتشد همهم للتعلم الفعال والمشاركة الإيجابية في بناء المعرفة .

لذا فإن المدرس مدعو لبذل جهد في قراءة الكتاب ووضع خطة لإقراءه واستدعاء شبكات القيم والكفايات والمفاهيم المكتسبة الصحيحة والخاطئة لبني وضعيات مشكلة تستفز قناعاته الجاهزة وتستثير رغبته في التعلم وإلا فإن إعداد المتعلم

للدروس لن يتجاوز المطالعة السطحية والتي لن تفيده في فهم المعرفة فكيف بنقلها إلى سلوك ومهارات. لذا فإن عملية أجراة الكفايات النوعية وتحويلها إلى مهام تعليمية دقيقة قابلة للإنجاز عملية ضرورية لحل المشكلات وتزليل المعرفة والقيم إلى واقع المتعلم، وهي عملية تنمو بالمراس وتنمي فيه مهارات مراقبة الذات ومساءلتها وترسخ في اعتقاده إمكانية تطوير قدراته وتحسين أخلاقه.

القراءة الموجهة من القراءة إلى الإقراء:

تعتبر القراءة أول خطوة للتعلم وأساس كل إعداد للدرس، إلا أن القراءة تختلف باختلاف غرض القارئ. فالقارئ الفعال قارئ باحث ومتفاعل إلا أن فاعلية القراءة تزيد وتنقص بامتلاك الأدوات المنهجية واللغوية للقراءة وغيابها، فلا بد إذا من تسليح المتعلم بتلك الأدوات، فتكون القراءة موجهة بامتنياز .

الكتاب المدرسي بين إشكالية القراءة وأشكالها

ولكي نتحرر من سلبية القراءة إلى فاعليتها يمكن الاستعانة بالآليات التالية:

•صياغة شبكات للمهام التعليمية باستثمار الأنشطة التعليمية المضمنة في الدروس النظرية والتطبيقية ودروس

الأنشطة وإحالتها على حل المشكلات والوضعيات

•صياغة وضعيات مشكلة وربطها بالقيم المناسبة لموضوع الدرس وحاجات المتعلم وبالمهام التعليمية

- إعطاء أهمية قصوى للإعداد القبلي لأنه قاطرة التعلم الذاتي داخل الفصل وخارجه
- تجميع المهام المنجزة من طرف المتعلمين وتنقيحها بهدف تركيب نتائج وخلصات الدرس

ضوابط الإجاز:

- الإجاز — إدماج القيم — الربط بالمصادر الشرعية القرآن والسنة والفقہ
- المقاربة الإشكالية للدرس النظري
- المرونة في ابتكار الوضعيات
- التحرر من نصية إشكالية الكتاب المدرسي
- بناء المرجعية والبحث عن مصادر الحل
- الربط بين مضمون النص وسياق الدرس
- تدريب المتعلم على استثمار النص الشرعي في حل المشكلات ومعالجة الوضعيات وربط
- توظيف الإحصائيات
- توظيف الصور

الدرس التطبيقي من القراءة إلى الإقراء

مفهوم الدرس التطبيقي: هو استمرار في معالجة قضية الوحدة ومحطة لاكتساب مفاهيم وتصحيح أخرى

مميزاته : يعتمد النص موضوعا أساسيا له والتقنيات المنهجية واللغوية وسيلة ويستهدف إكساب المتعلم القدرة على البحث في المصادر والمراجع ويمكنه من قدرات الربط بين النص وسياقه الموضوعي ويكسبه محبة المطالعة وملكة البحث والاستقصاء

إعداد الدرس التطبيقي

- صياغة مهام دقيقة
- مهام موجهة للقراءة
- تمكين المتعلم من الآليات اللغوية والمنهجية لتحليل النص وفهمه
- مهام موجهة للتحليل
- إقداره على استخلاص الأفكار وفهم قصد صاحب النص وتبنيه إلى حسن توظيفها في بناء معرفة الدرس والوحدة
- مهام موجهة للربط
- إقداره على ربط مضمون النص بالسياق المفاهيمي للدرس التطبيقي وبالنسق المفاهيمي للدرس وللوحدة

درس الأنشطة

مفهوم درس الأنشطة : هو شكل متميز للتعلم يعتمد عمل الفريق والعمل في مجموعات
مميزاته: إتاحة الفرصة للمتعلم لنقل تعلماته من المعرفة المجردة إلى السلوك وتقويم السلوك .
أساليب تصريفه : استثمار المعرفة والقيم في إنجاز مشاريع فكرية واجتماعية عن طريق بيداغوجيا التعاون وعمل الفريق

درس الأنشطة من التدريب إلى اتخاذ المبادرة

العوائق:

من بين أهم الصعوبات التي تعترض المدرس في تدبير هذا الدرس خوف المتعلم من الاشتغال في فريق وإحساس المتعلمين بصعوبات التواصل والاندماج في الفريق ومشكل تنظيم الفضاء
الحلول: إعداد فرق في بداية السنة الدراسية وتوزيع دروس الأنشطة حسب رغبات الفرق وإعداد توقعات للصعوبات
تنظيم الفضاء بإعداد تصميم الوضعيات وبالتوجيه التربوي.

إن هذا النمط في الاشتغال نمط صعب لكنه ليس مخيفا فالأجدر بالمدرس أن يستثمر الكتاب بشكل إيجابي ويقراه قراءة
فعالة ومتفاعلة قبل أن يقرئه لتلاميذه فيصح خطأه ويكمل نقصه ويبسر عسيره. والله ولي التوفيق والهادي إلى سبل
الرشاد.